الروض الفياح

في

تفسير سورة الانشراح

إعـداد

أحمد حامد محمد سعيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

جامعة الأزهر الشريف

وكلية الشريعة والأنظمة - جامعة الطائف

إهـــــــــداء

* إلى سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ.
* إلى روح والديَّ الكريمين – رحمهما الله تعالى –.
* إلى روح أخي – أبي محمد – تغمده الله برحماته، وأسكنه فسيح جناته.
* إلى أساتذتي ومشايخي، وكل من له فضل علي.
* إلى إخوتي الأشقاء، وإخواني الأصدقاء.
* إلى طلاب العلم عامة، وأهل التفسير وعلوم القرآن خاصة.
* إلى زوجتي وأولادي – بارك الله لي فيهم –.
* إلى هؤلاء – جميعاً – أهدي هذا البحث – سائلاً الله تعالى – أن يجعله في ميزان الحسنات، وأن يغفر به الزلات، وأن يهب له القبول والسداد، والتوفيق والرشاد، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا من جنده وحزبه وأوليائه... فهو حسبنا ونعم الوكيل.

اللهـم آميـن.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فالقرآن الكريم هو الكتاب الخالد والمعجزة الباقية إلى أن يرث الله – تعالى – الأرض ومن عليها، وهو الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد ﴾[1].

وهو الذي تولى الله ﷻ حفظه بنفسه ؛ حيث صانه عن التبديل والتحريف والتغيير والتزييف، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾[2].

وهو الذي جمع له منزله – سبحانه – من السمات والخصائص ما لم يتوفر – ولن يتوافر – لأي كلام سواه، قال ﷻ: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[3]، فلا كلام أبلغ منه، ولا حديث أفصح كذلك.

(آيات منزلة من حول العرش، فالأرض بها سماء وهي منها كواكب، بل هي الجند الإلهي قد نشر له من الفضيلة علم، وانضوت إليه من الأرواح مواكب، أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها، وامتنعت عليه أعراف[4] الضمائر فابتز أنفالها[5]... ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب.

---

[1] فصلت / ٤٢ .
[2] الحجر / ٩ .
[3] هود / ١ .
[4] جمع عُرف – بضم فسكون – وهو المكان المرتفع . المعجم الوسيط ص٦١٧ (عرف) .
[5] جمع نَفَل – بفتحتين – الغنيمة والهبة . القاموس المحيط للفيروزابادي ٤ / ٥٩ (نفل) والمراد : أن القرآن نفذ إلى الضمائر وغلبها على أمرها ، والأعراف والأنفال – أيضا – السورتان المذكورتان في القرآن الكريم .

ومعان بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان... وبينا هي ترق بندى الحياة على زهرة الضمير، وتخلق في أوراقها من معاني العبرة معنى العبير، وتهب عليها بأنفاس الرحمة فتنم بسر هذا العالم الصغير...)[1].

ومن هنا فقد أولى علماؤنا الأجلاء – قديماً وحديثاً – هذا الكتاب المعجز اهتماماً بالغاً وعناية فائقة... تحقيقاً وامتثالاً لقوله – تعالى –: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2].

وقد أثمر ذلك التدبر إثراء المكتبة الإسلامية بفيض غزير وكثرة هائلة من التآليف والتصانيف في كل ما يتعلق به، ومنها – بل وعلى رأسها – تفسيره وبيانه وما يندرج تحته من أنواع عديدة.

ومواصلة لهذا الإثراء، وامتداداً لهذا الاعتناء، فقد استعنت بالله ﷻ وأردت أن أسهم – قدر طاقتي، فضلاً عن قلة بضاعتي – في خدمة هذا الكتاب العزيز، فشرعت في تفسير هذه السورة الكريمة – سورة الشرح – وأسميته **(الروض الفياح في تفسير سورة الانشراح)**.

<u>وقد وضعت لهذا التفسير منهجاً أسير عليه وأتتبع خطاه، وهو كما يلي:</u>

* ذكرت – إثر هذه المقدمة – أموراً تتعلق بالسورة، وتجلي مقاصدها، وتكشف للقارئ جوانب عديدة تنوط بها، وهي: كونها مكية أو مدنية، أسماؤها، عدد آيها وكلماتها وحروفها، ما ورد في فضلها، سبب نزولها، سماتها وخصائصها، مناسبتها لما قبلها، مقاصدها وأغراضها، وهذا ما جاء تحت عنوان: بين يدي السورة الكريمة.

* ثم شرعت – بعد ذلك – في تفسيرها – وهو المقصود المهم – آية آية مبيناً مفرداتها اللغوية ومعانيها، وأقوال العلماء في ذلك، والتوفيق بينها – إن أمكن – أو الترجيح مع التدليل أو التعليل، وما فيها من قراءات، وكونها صحيحة أو شاذة، مقبولة أو لا، والمعاني المترتبة عليها... إلخ.

* ما ألزمت به نفسي من قبل – وهو من تمام البحث ولوازمه – وهو عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصيلة مع ذكر

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ص٢٢ ، ٢٣ .
[2] ص / ٢٩ .

الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث – أحياناً –، وعزو الآثار إلى قائليها، وعزو القراءات القرآنية إلى مصادرها – أيضا – مع توجيهها وبيان ما يترتب عليها، كما ذكرت اسم الكتاب ومؤلفه عند وروده أول مرة... إلى غير ذلك من متطلبات البحث ومقتضياته – أيا كان نوعه – ثم ذيلت بالخاتمة، والفهرس العام لكل محتويات البحث.

على هذا النهج سرت في هذا البحث – مستعيناً بالله تعالى – محاولاً عرضه بطريقة علمية مبسطة، لا إفراط فيها ولا تفريط ؛ حتى يفيد منه القارئ – إن شاء الله تعالى – دون جهد أو عناء.

فإن أك قد وفقت في ذلك فمن الله – تعالى – وحده، وله الفضل والحمد، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، وحسبي أنني بشر، أصيب وأخطئ ما لم يحمني القدر.

وأخيراً: الله – تعالى – أسأل أن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيبني عليه خيراً في الدنيا وجزاء من لدنه في الآخرة، وأن يهب له القبول والسداد، والتوفيق والرشاد، وأن يوفقني لما يحب ويرضى، وأن يهديني سواء السبيل ؛ إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلى الله – تعالى – على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

بين يدي السورة الكريمة

جرت عادة المفسرين أن يذكروا – قبيل ولوجهم غمار تفسير أي سورة من سور التنزيل العزيز – عدة أمور، هي من قبيل التمهيد والتوطئة للقارئ يتكشف بها معالم السورة ومضامينها، ويتعرف من خلالها على سياقها وجوها... وما يتعلق بها عامة، وقد جاء ذلك على سبيل الإجمال لدى القدامى منهم، بينما فصل فيه وبين المحدثون والمعاصرون.

وها نحن – أولاء – نقتفي آثار هؤلاء وأولئك فنذكر ما ينوط بسورتنا الجليلة ونعرض له فيما يلي:

* زمان ومكان السورة، أو هل السورة مكية أو مدنية ؟

أجمع المفسرون – رحمهم الله تعالى – على أن السورة الجليلة مكية[1]، وقد وردت آثار عديدة تدل على ذلك، منها:

ما ذكره السيوطي في دره[2] عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: نزلت سورة ألم نشرح بمكة، وزاد بعض الرواة: بعد الضحى.

وما ذكره – أيضا –[3] عن عبد الله بن الزبير قال: أنزل ألم نشرح بمكة، وعن عائشة قالت: نزلت سورة ألم نشرح بمكة.

إلا أن الإمام الألوسى ذكر أن الإمام البقاعي – رحمهما الله تعالى – زعم أنها مدنية عنده[4]، لكن هذا الزعم – فضلاً عن رده – ليس صحيحاً ؛ لأن البقاعي لم يقل ذلك، وإنما قال(: إنها مكية)[1].

---

[1] انظر : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي ١٦ / ٤٨٩ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٦ / ٤٤٣ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشرى ٤ / ٧٧٠ ، البحر المحيط لأبي حيان ١٠ / ٤٩٩ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى ٥ /٤٦٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٥٢٤ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٨ / ٢٨٤ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٥ / ٤٩٦ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٨ / ٤٦٠ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠ / ١٠٤ ، النكت والعيون للماوردى ٤ / ٥٠٢ ، حاشية زاده على البيضاوي لشيخ زاده ٤ / ٧٦٠ ، التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠ / ٤٠٧ .

[2] ٦ / ٦١٤ ، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وغيرهما ، وأخرجه البيهقي – بنحوه – عن الحسن في دلائله ٧ / ١٤٢ .

[3] ٦ / ٦١٤ .

[4] راجع : روح المعاني ٣٠ / ٢٩٧ ، ولم أقف على هذا الزعم عند البقاعى .

وهذا الذي لم يقله البقاعي مال إليه القاسمي، ورجحه وعلل له فقال: (وهو الأقوى عندي، فإن استقرار هذه النعم المعدودة فيها، إنما كان بالمدينة المنورة، كما لا يخفى)[٢].

وهذا التعليل مردود بأن كثيراً من النعم المذكورة كان بمكة قبل أن يكون بالمدينة، فشرح الصدر إذا كان المراد منه شق صدره الشريف ﷺ – وهو أول المعاني المرادة – إنما كان بمكة وليس بالمدينة، هذا على فرض تعدد الشق، وعلى فرض عدم ذلك فإن الإسراء – وفيه وقع الشق – كان بمكة ولم يكن بالمدينة.

ورفع الذكر – كما سيأتي في أحد معانيه – هو النطق بالشهادتين، وهذا أمر كان موجوداً منذ بعثتهﷺ ، وإلا فكيف يعرف المؤمن من الكافر إذا لم ينطق بالشهادتين ؟

كما أن العسر كان بمكة قبل أن يكون – أيضاً – بالمدينة.

وحسبنا – بعد ذلك كله – الآثار التي دلت على مكيتها، وأنها هي السورة الثانية عشرة في ترتيب النزول.

كما ذكر الألوسى – أيضا – [٣] حديثا[٤] عن جابر بن عبد الله يفيد ظاهره أن قوله – تعالى – في السورة:﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا ﴾نزل بالمدينة، إلا أنه عقب عليه بقوله: (لكن في صحة الحديث توقف)[٥]، وذكر الحافظ ابن حجر أن إسناده ضعيف[٦].

وعلى هذا تكون السورة كلها من أولها إلى آخرها — بالاتفاق – مكية، و – أيضا – مما نزل بمكة مبكراً، وقد نزلت بعد سورة الضحى، وقبل سورة العصر.

---

[١] نظم الدرر ٨ / ٤٦٠ .

[٢] محاسن التأويل للقاسمى ٧ / ٣٤٣ .

[٣] ٣٠ / ٢٩٧ .

[٤] ذكره السيوطي في دره ٦ / ٦١٦ وعزاه إلى ابن مردويه ونصه : عن جابر بن عبد الله قال : " بعثنا رسول الله ﷺ ونحن ثلاثمائة أو يزيدون ، علينا أبو عبيدة بن الجراح ، ليس معنا من الحمولة إلا ما نركب ، فزودنا رسول الله ﷺ جرابين من تمر ، فقال بعضنا لبعض : قد علم رسول الله ﷺ أين تريدون وقد علمتم ما معكم من الزاد فلو رجعتم إلى رسول الله ﷺ فسألتموه أن يزودكم ، فرجعنا إليه فقال : إني قد عرفت الذي جئتم له ولو كان عندي غير الذي زودتكم لزودتكموه ، فانصرفنا ونزلت : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا ﴾فأرسل نبي الله إلى بعضنا فدعاه فقال : " أبشروا فإن الله قد أوحى إلي ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا ﴾ولن يغلب عسر يسرين " .

[٥] روح المعاني ٣٠ / ٢٩٧ .

[٦] راجع : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٨ / ٥٨٢ .

*** أسماؤها:**

ذكر بعض المفسرين – رحمهم الله تعالى – أن للسورة الكريمة اسمين هما: الشرح والانشراح، قال الطاهر ابن عاشور – رحمه الله –: (وسميت في بعض التفاسير سورة الشرح، ومثله في بعض المصاحف المشرقية بمصدر الفعل الواقع فيها من قوله - تعالى -:أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وفي بعض التفاسير تسميتها سورة الانشراح[1].

وذكر البخاري أن اسمها سورة ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[2]، والترمذي في جامعه[3] أن اسمها سورة(ألم نشرح).

ومعلوم أن الشرح والانشراح مصدران للفعلين شرح، انشرح، ومادتهما واحدة، وقد سميت السورة بذلك ؛ لأن أشهر ما فيها هو شرح صدر النبيﷺ .

قال الفيروز ابادي: (وسميت لمفتتحها)[4]، أي: لقوله – تعالى –: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾.

*** عدد آيها وكلماتها وحروفها:**

أما عدد آيها: فهو ثمان بالاتفاق، قال الألوسى – رحمه الله –: (وآيها ثمان بالاتفاق)[5]، وقال البقاعي: (آياتها ثمان)[6]، وفي التحرير[7] (وعدد آيها ثمان).

وأما كلماتها: فقد ذكر صاحب البصائر أنها ست وعشرون كلمة، وذكر النيسابوري أنها تسع وعشرون[8]، وبالعد تبين خلاف ذلك، وهو أنها سبع وعشرون كلمة، تبدأ بـ﴿أَلَمْ ﴾وتنتهي بـ﴿ فَارْغَبْ﴾.

وأما عدد حروفها: فهو مائة وخمسون حرفاً كما في البصائر[9]، ومائة وثلاثة كما في غرائب القرآن[10]، وبالعد – أيضاً – تبين خلاف ذلك، وهو أنها مائة واثنان حرفاً.

---

(1) التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٠٧ .
(2) راجع : صحيح البخاري (فتح الباري) ٨ / ٥٨٢ .
(3) ٥ / ٢٢٩ .
(4) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ١ / ٥٢٦ .
(5) روح المعاني ٣٠ / ٢٩٧ .
(6) نظم الدرر ٨ / ٤٦٠ .
(7) ٣٠ / ٤٠٧ .
(8) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى بهامش جامع البيان للطبري ٣٠ / ١١٤ .
(1) ١ / ٥٢٦ ، و– أيضا – التفسير القرآني للقرآن ٨ / ١٦٠٤ .
(2) ٣٠ / ١١٤ .

*** ما ورد في فضلها:**

ذكر بعض المفسرين – رحمهم الله تعالى – في فضل السورة الكريمة حديثاً ضعيفاً أو حديثين كذلك، ومن الأمور المسلمة أن الأحاديث الواردة في فضائل السور معظمها أو جلها ضعيف، اللهم إلا النذر اليسير جداً فإنه يدور بين الصحة والحسن، وهذا ما عليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً.

وحتى لا يغتر القارئ بما ورد في فضائل السور من أحاديث ضعيفة، فيكثر من روايتها، أو يذكرها دون بيان لحالها أود أن أوقفه على ما ورد في سورتنا، من ذلك:

ما ذكره الإمام الزمخشرى في خاتمة تفسيره للسورة[1] وغيره من المفسرين – رحمهم الله تعالى – أن النبيﷺ قال: " من قرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني ".

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في كتابه الكاف الشاف[2]: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب.

وهذا أمارة ساطعة ودلالة قاطعة على ضعفه وعدم صحته – كما هو معلوم لدى أهل الحديث –

وزاد الفيروز ابادي حديثاً آخر، فقال – تحت عنوان فضل السورة –: (فيه الحديثان الضعيفان: من قرأها فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني، وقال: يا علي من قرأها فكأنما أشبع فقراء أمتي، وله بكل آية قرأها حلة يوم الحشر)[3].

*** سبب نزولها:**

ويستبين ذلك من ارتباط قوله – تعالى –: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ لما قبله، يقول الإمام الفخر – رحمه الله –: (وجه تعلق هذه الآية بما قبلها أن المشركين كانوا يعيرون رسول اللهﷺ بالفخر ويقولون: إن كان غرضك من هذا الذي تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالاً حتى تكون كأيسر أهل مكة، فشق ذلك على رسول اللهﷺ حتى سبق إلى وهمه أنهم إنما رغبوا عن الإسلام لكونه فقيراً عندهم، فعدد الله – تعالى – عليه مننه في هذه السورة، وقال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ أي: ما كنت فيه من أمر الجاهلية، ثم وعده بالغنى

---

[3] ٤ / ٧٧٢ .

[4] بهامش الكشاف ٤ / ٧٧٢ .

[5] بصائر ذوى التمييز ١ / ٥٢٦ .

في الدنيا ليزيل عن قلبه ما حصل فيه من التأذي بسبب أنهم عيروه بالفقر، والدليل عليه دخول الفاء في قوله – تعالى –: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾كأنه – تعالى – قال: لا يحزنك ما يقول وما أنت فيه من القلة، فإنه يحصل في الدنيا يسر كامل)[1].

ولعل التعبير بالفاء في قوله﴿: فَإِنَّ مَعَ ﴾ دال على سرعة نزول هذا الرد على هؤلاء الكفار، وأن معية الله – تعالى – وعنايته ملازمة لرسولهﷺ لا تفارقه ؛ تُسري عنه ما يحدث له، وتزيل عنه ما يتأذى منهﷺ .

*** سماتها وخصائصها:**

تتسم السورة الكريمة بعدة سمات، وشأنها في ذلك شأن كثير من سور هذا الجزء الأخير من القرآن الكريم ؛ حيث تتوافر لها خصائص شتى وسمات عديدة، منها :

١- قصر آيها وسرعة إيقاعها:

ويلاحظ هذا في جميع آياتها الثمانية، مع أخذ بعضها بحجز بعض أخذاً حانيا متأنياً، وهذه السمة بلا ريب مما يعضد كون السورة مكية، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: (نلاحظ من قراءة النصوص المكية أن سرعة الإيقاع أساس بنائها، فإذا قرأناها ووقفنا عند رؤوس الآي فيها تسارعت الأنفاس، وتساعفت الجمل القرآنية في أدائها لومضات الوحي ومعانيه فهي كلمتان أو ثلاث ليتم المعنى، ونقف على رأس الآية، ثم نبدأ معنى جديداً في آية جديدة وإيقاع سريع – أيضا –)[2].

٢– تباين فاصلتها:

حيث جاءت على ثلاثة أحرف وهي: الكاف والألف والباء، وقد اتفقت الآيات الأربع الأول في الفاصلة الأولى وهي الكاف، حيث ختمت بها جميعا، بينما ختمت الآيتان الخامسة والسادسة بالفاصلة الثانية وهي الألف، وختمت الآيتان الأخيرتان بالفاصلة الثالثة وهي الياء، قال الفيروزابادي: (وفواصل آياتها بكا)[3].

---

[1] مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٩٥ ، و– أيضا – روح المعاني ٣٠ / ٣٠٤ .
[2] حديث عن القرآن للدكتور / عبد الصبور شاهين ص ٢٣٦ .
[1] بصائر ذوى التمييز ١ / ٥٢٦ .

ويلاحظ من فواصل السورة الكريمة وهي المجموعة في كلمة (بكا) تناسب عجيب مع موضوع السورة، وهو رعاية الله – تعالى – وعنايته بحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ ؛ حيث شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، ويسر له عسره.

وذلك لأن مجموع الفواصل يفيد البكاء، والبكاء ناتج عن التعب والنصب والمعاناة والغضب الذي لاقاه الرسول ﷺ أثناء دعوته وتبليغه دين اللهﷺ ، وموضوع السورة يفيد إزالة هذا العناء، وتوقف هذا البكاء، وأن الله – تعالى – مع رسوله ﷺ في كل وقت وحين، يكلؤه برحماته، ويمنحه من نعمه وآلائه.

٣– تلاؤم فقراتها وتناسق جملها:

ويلاحظ هذا في آياتها حيث تدور بين أربع وثلاث كلمات، فقد تكونت الآيات الأولى والخامسة والسادسة من أربع كلمات، وسائر الآيات من ثلاث كلمات، وكل منها تتلاءم مع الأخرى تلاؤماً عجيباً، وتتناسق – أيضاً – تناسقاً رائعاً، وهذا شأن التنزيل العزيز سواء أطالت آياته أم قصرت، ولا ريب فالله – تعالى – هو القائل: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1].

*** مناسبتها لما قبلها**

علمنا مما سبق أن السورة الجليلة قد نزلت بعد سورة الضحى، وفي الترتيب المصحفي نلفى الأمر ذاته، وهو أن السورة تأتي بعد سورة الضحى – أيضا –، وإذا كانت السورة ترتبط بما قبلها ارتباطاً وثيقاً لكونها تالية لها في ترتيب المصحف الشريف، فلا ريب أن الارتباط يكون أقوى، والعلاقة تضحى أشد إذا كانت السورة تلي السورة من حيث النزول – أيضا – وهذا ما توافر للسورتين الجليلتين الضحى والشرح.

وقد عنى المفسرون – رحمهم الله تعالى – عناية فائقة بإبراز هذا التلاحم القوي والتناسب الوطيد وتجسيده في تفاسيرهم .

قال الإمام البقاعي – رحمه الله –: (لما أمره ﷺ آخر الضحى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه فصلها في هذه السورة، فقال مثبتا لها في استفهام إنكاري مبالغة في إثباتها عند من ينكرها

---

[1] آية رقم (١) من سورة هود عليه السلام .

والتقرير بها مقدما المنة بالشرح في صورته قبل الإعلام بالمغفرة كما فعل ذلك في سورة الفتح[1] الذي هو نتيجة الشرح ؛ لتكون البشارة بالإكرام – أولاً – لافتاً القول إلى مظهر العظمة تعظيماً للشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾)[2].

وقال الإمام الألوسى – رحمه الله –: (وهي شديدة الاتصال بسورة الضحى ؛ حتى إنه روى عن طاووس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يقولان: هما سورة واحدة، وكانا يقرآنهما في الركعة الواحدة، وما كانا يفصلان بينهما بـ " بسم الله الرحمن الرحيم ")[3].

ثم ذكر السبب في ذلك، ورد عليه فقال: (والذي دعا إلى ذلك هو أن قوله – تعالى –: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾كالعطف على قوله – تعالى –: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً ﴾[4] وليس كذلك ؛ لأن الأول كان عند اغتمام الرسولﷺ من إيذاء الكفرة وكانت الحالة حال محنة وضيق صدر، والثاني يقتضي أن يكون حال النزول منشرح الصدر طيب القلب، فأنى يجتمعان ؟ وفيه نظر، والحق أن مدار مثل ذلك الرواية لا الدراية، والمتواتر كونهما سورتين، والفصل بينهما بالبسملة[5].

ثم بين أنهما متصلتان اتصالاً قوياً ودلل على ذلك فقال: (نعم هما متصلتان معنى جداً، ويدل عليه ما في حديث الإسراء...[6] أن الله – تعالى – قال له:ﷺ يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويت، وضالاً فهديت، وعائلاً فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي[7].

وهذا الذي ورد في الحديث هو عينه الذي ذكره العلامة الجمل في قوله: (ولما ذكر بعض النعم عليه بقوله:﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ الخ أتبعه بما هو كالتتمة له وهو شرح الصدر)[8].

وهكذا تتجلى روعة التنزيل الجليل في ترابط سوره وآياته، وحروفه وكلماته... وهو لون من ألون إعجاز القرآن الكريم.

---

(1) حيث قال الله – تعالى – : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ... ﴾ آية / ٢ .
(2) نظم الدرر ٨ / ٤٦٠ ، و– أيضا – : التفسير القرآني للقرآن ٨ / ١٦٠٤ .
(3) روح المعاني ٣٠ / ٢٩٧ .
(4) آية رقم (٦) من سورة الضحى .
(5) روح المعاني ٣٠ / ٢٩٧ .
(6) أخرجه الحاكم – بألفاظ قريبة – في مستدركه ٢ / ٥٧٣ (٣٩٤٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، والطبراني في الأوسط ٤ / ٧٥ (٣٦٥١) ، والكبير ١١ / ٤٥٥ (١٢٢٨٩) .
(7) روح المعاني ٣٠ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
(1) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل ٤ / ٥٥٤ ، و– أيضا – : في ظلال القرآن للأستاذ الشهيد / سيد قطب ٦ / ٣٩٢٩ ، والآية رقم (٣) من سورة الضحى .

*** مقاصدها وأغراضها**

من المعلوم – بداهة – أن لكل سورة من سور التنزيل العزيز هدفاً رئيساً تدور حوله، وموضوعاً أساسيا تندرج تحته موضوعات أخرى فرعية تتعاضد في إبرازه وتجليته أيما جلاء، وقد عني بذلك المفسرون – رحمهم الله تعالى – وجسدوه في مصنفاتهم – أيضاً –

وفيما يتعلق بمقاصد السورة الكريمة وأغراضها يقول البقاعي – رحمه الله –: (مقصودها تفصيل ما في آخر الضحى من النعمة، وبيان أن المراد بالتحديث بها هو شكرها بالنصب في عبادة الله، والرغبة إليه بتذكر إحسانه وعظيم رحمته بوصف الربوبية وامتنانه، وعلى ذلك دل اسمها الشرح)[1].

وتوسع الطاهر – رحمه الله – في بيان ذلك بعض الشيء فقال: (احتوت على ذكر عناية الله – تعالى – لرسوله ﷺبلطف الله له، وإزالة الغم والحرج عنه، وتيسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لينفس عنه، فمضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتاً له بتذكيره سالف عنايته به وإنارة سبيل الحق وترفيع الدرجة ليعلم أن الذي ابتدأه بنعمته ما كان ليقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماض يعمله النبيﷺ وأتبع في ذلك بوعده بأنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسراً كدأب الله – تعالى – في معاملته، فليتحمل متاعب الرسالة ويرغب إلى الله عونه)[2].

وقال صاحب الظلال: (فيها ظل العطف الندى، وفيها روح المناجاة الحبيب، وفيها استحضار مظاهر العناية، واستعراض مواقع الرعاية، وفيها البشري باليسر والفرج، وفيها التوجيه إلى سر اليسر وحبل الاتصال الوثيق)[3].

وبهذا نكون قد انتهينا من تعريف القارئ المفضال بالسورة الجليلة ؛ لننتقل - بعد ذلك- إلى سبر أغوارها، والغوص في بحارها، والكشف عن أسرارها ودررها وكنوزها، وما فيها من نفائس ومعارف، ودقائق ولطائف... وذلك من خلال تفسيرها وبيان معانيها وتحليل مفرداتها، وسائر ما يتعلق بها... فإلى ذلك – والله تعالى المستعان –.

---

[2] نظم الدرر ٨ / ٤٦٠ .
[3] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٠٧ ، ٤٠٨ .
[4] في ظلال القرآن ٦ / ٣٩٢٩ .

تفسير السورة الكريمة

قال الله – تعالى –: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾.

الشرح في اللغة:البسط والتوسعة، يقال: شرح الشيء: بسطه ووسعه[١].

وقال الراغب: (أصل الشرح: بسط اللحم ونحوه، يقال:شرحت اللحم وشرحته، ومنه شرح الصدر، أي: بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه[٢].

ويفهم من هذا أن الأصل في إطلاق الشرح هو ما كان خاصاً ببسط اللحم وتشريحه، وأن استعماله في غير ذلك إنما هو من باب المجاز.

يقول الطاهر – رحمه الله –: (والشرح حقيقته: فصل أجزاء اللحم بعضها عن بعض، ومنه الشريحة للقطعة من اللحم، والتشريح في الطب، ويطلق على انفعال النفس بالرضي بالحال المتلبس بها، وظاهر كلام الأساس[٣] أن هذا إطلاق حقيقي، ولعله راعى كثرة الاستعمال، أي هو من المجاز الذي يساوي الحقيقة ؛ لأن الظاهر أن الشرح الحقيقي خاص بشرح اللحم، وأن إطلاق الشرح على رضى النفس بالحال أصله استعارة ناشئة عن إطلاق لفظ الضيق وما تصرف منه على الإحساس بالحزن والكمد، قال – تعالى –: ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ﴾[٤] الآية، فجعل إزالة ما في النفس من حزن مثل شرح اللحم، وهذا الأنسب لقوله : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [٥].

وبين المراد من الصدر وشرحه فقال: (فالصدر مراد به الإحساس الباطن الجامع لمعنى العقل والإدراك، وشرح صدره كناية عن الإنعام عليه بكل ما تطمح إليه نفسه الزكية من الكمالات وإعلامه يرضى الله عنه وبشارته بما سيحصل للدين الذي جاء به من النصر[٦].

ولم يستبعد الألوسى أن يكون شرح الصدر حقيقة إذا كان المراد منه القلب فقال – بعد أن عرفه –: (وكذا شاع في سرور النفس حتى لو قيل: إنه حقيقة عرفية فيه لم يبعد، وذلك إذا تعلق بالقلب كأن قيل: شرح قلبه بكذا أي سره به لما أن القلب كالمنزل للنفس، ويلزم عادة من فسح

---

[١] المعجم الوسيط ص ٤٩٦ مادة (شرح) .
[٢] المفردات في غريب القرآن للراغب ص ١٥٨ .
[٣] للزمخشرى ١ / ٤٨٥ .
[٤] هود / ١٢ .
[٥] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٠٨ .
[٦] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٠٨ .

البيت، وتوسعته سرور النازل فيه، وكذا إذا تعلق بالصدر الذي هو محل القلب، وربما يؤذن ذلك بسعة القلب لما أن العادة كالمطردة في أن توسعة ما حوالي المنزل، وإنما تكون إذا كان المنزل واسعاً، فيوسع ما حواليه لتحصيل زيادة بهجة ونحوها فيه فينتقل منه إلى سرور النفس بالواسطة)[1].

ثم ذكر معاني أخرى فقال: (وقد يراد به إذا تعلق بالقلب أو الصدر – أيضا- تكثير ما فيه من المعلومات فقيل: يتخيل أنها تحتاج إلى فضاء تكون فيه، وأن ذلك محل لها، فمتى كانت كثيرة اقتضت أن يكون محلها واسعاً ليسعها، وقد يراد بها تكثير ما في النفس من ذلك فقيل: – أيضاً – يتخيل أن تكثير معلوماتها يستدعي توسيعها، وتوسيعها يستدعي توسيع ذلك لتنزيله منزلة محلها، وقد يراد به تأييد النفس بقوة قدسية وأنوار إلهية، بحيث تكون ميداناً لمواكب المعلومات، وسماء لكواكب الملكات، وعرشاً لأنواع التجليات، وفرشاً لسوائم الواردات، فلا يشغله شأن عن شأن، ويستوي لديه يكون وكائن وكان)[2].

وعقب عليها وبين الراجح منها فقال: (ووجه نسبته إلى الصدر على نحو ما مر، وإرادة القلب من الصدر والنفس من القلب بعلاقة المحلية ونحوها مما لا تميل إليه النفس، وإرادة كل مما ذكر بقرينة المقام، والأنسب بمقام الامتنان هنا إرادة هذا المعنى الأخير، وجوز غيره)[3].

وعلى كل فأول ما يتبادر إلى الذهن في المراد من الشرح: هو شرح صدره ﷺ بمعنى الشق الذي وقع له ﷺ، ولم يقع لغيره على الإطلاق، وهذه خصوصية له ﷺ دون غيره.

وقد وردت آثار أخرى عديدة في المراد من شرح صدرهﷺ ، منها:

ما روي عن ابن عباس: أنه الإسلام، أي أن الله – تعالى – شرح صدره للإسلام، وعنه– أيضاً –: ألم نلين لك قلبك.

وما قاله الحسن: أنه مُلئ حلماً وعلماً، وقيل: ملئ حكمة وعلماً .

---

[1] روح المعاني ٣٠ / ٢٩٨ .
[2] المرجع السابق ٣٠ / ٢٩٨ .
[3] المرجع نفسه ٣٠ / ٢٩٨ .

وما قاله عطاء: أنه بما منَّ عليه من الصبر، وقيل: بحفظ القرآن وحقوق النبوة[1]، ولا تناقض بين هذه المعاني، فكلها محتملة ومرادة.

يقول العلامة أبو حيا ن – رحمه الله – بعد أن ذكر قول الجمهور: (والأولى العموم لهذا ولغيره من مقاساة الدعاء إلى الله – تعالى – وحده، واحتمال المكاره من إذاية الكفار)[2].

ويقول الحافظ ابن كثير – بعد أن ذكر القولين – الشرح الحقيقي، الشرح المعنوي –: (ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي – أيضاً – فالله أعلم)[3].

بيد أن الدكتورة / عائشة بنت الشاطئ مالت إلى: أن الشرح بمعنى الشق ليس مراداً هنا ؛ لأنه زيادة لا يحتملها السياق، فقالت بعد أن تتبعت كلمة الصدر ومعانيها في القرآن: (وهذا التتبع يزيدنا بعداً عن المعنى المادي لشرح الصدر، ويجعلنا أكثر طمأنينة إلى أنه هدى الإيمان ونور الحق وراحة اليقين والسلام النفسي، وشرح الصدر للكفر في سياق الوعيد بآية النحل[4] شاهد بأن الأمر فيه معنوي خالص... وكونه طمأنينة نفس، وهدى إيمان، وارتياحاً إلى اليقين، يجعلنا نتردد في تفسير الصدر هنا بالجارحة كما ذهب النيسابوري، أو أنه قوي الشهوة والهوى والغضب ونحوها مما عده الراغب)[5]، [6].

وقالت – أيضاً – بعد أن ذكرت الآيات التي ورد فيها الصدر مع الضيق أو الحرج وغيرهما من المعاني: (وليس شيء من هذا كله، بالذي يجنح إلى معنى مادي كشق الصدر الذي هو جارحة، ولا مجال معه، لتزيد لا يحتمله صريح السياق، مما أفاض المفسرون في ذكره من علوم

---

[1] انظر هذه الآثار في : الدر المنثور ٦ / ٦١٤ ، النكت والعيون ٤ / ٥٠٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٤ ، التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٠٨ .

[2] البحر المحيط ١٠ / ٤٩٩ .تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٢٤ .

[3] في تفسيره ٣٠ / ١١٥ .

[4] وهى قوله – تعالى – : ﴿ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً ﴾ من الآية / ١٠٦ ويلاحظ أن هذه الآية في شأن الكفار وجزائهم ، وليست في حق رسولنا ﷺ .

[5] في مفرداته ص ٢٧٦ مادة (صدر) .

[6] التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة / عائشة بنت الشاطئ ١ / ٦٠ .

وحكمة... وهذه آيات القرآن جميعاً في الصدور، لا تأذن لنا في مثل هذا التزيد، وهي في سياق الإيمان والهدى ونور الله والشفاء، أو الضيق والحرج والعسر والطمس والضلال والغل)[١].

ووافقها على هذا المتجه فضيلة الشيخ عبد الكريم الخطيب، واستدل بنحو ما استدلت به – أيضاً – [٢].

وبإيجاز شديد فات الدكتورة الفاضلة والشيخ الجليل أمور عدة، هي:

أولاً: أن النيسابوري لم يقل – وحده – بأن المراد من الشرح هنا هو الشق الحقيقي، فقد قال جمهور المفسرين بذلك – أيضا – ومنهم: الرازي[٣]، الألوسى[٤]، القرطبي[٥]، النيسابوري[٦]، ابن كثير[٧].

وثانيا: أن الآيات التي عرضت لها ليست قاصرة على شرح الصدر، وإنما تضمنت معاني أخرى.

وثالثا: أن هذه الآيات ليست خاصة برسولنا ﷺ وإنما شملت المؤمن والكافر.

ورابعاً: أن آيتنا المباركة خطاب للرسولﷺ وليست لأحد سواه، وقد ميز ﷺ عن سائر الأنبياء والمرسلين بميزات كثيرة، فكيف يكون شرح صدره كشرح صدورهم أو غيرهم من سائر البشر ؟ لو كان الأمر كذلك لما كان في ذلك ميزة، أما أن يراد بالشرح الشق الحسي والشرح المعنوي ففي هذا اعتناء واهتمام من ربه به ﷺ لاسيما وأن الشق الحسي لم يقع لأحد سواه ﷺ أما هو فقد وقع له فعلاً[٨]، فلم بعد هذا كله نستبعد أن يكون المراد من الشرح الشق الحقيقي وغيره، وقد ذهب المفسرون إلى أن العموم هو الأولى، والقرآن حمال ذو وجوه.

يقول الطاهر – رحمه الله –: (وإذ قد كان ذاك الشق معجزة خارقة للعادة يجوز أن يكون مراداً، وعليه يكون شق الصدر قد أطلق على حقيقته وهو الباطن الحاوي للقلب، ومن العلماء

---

[١] التفسير البياني ١ / ٦١ .
[٢] انظر : التفسير القرآني للقرآن ٨ / ١٦٠٥ : ١٦٠٧ .
[٣] في مفاتيحه ١٦ / ٤٤٨٩ .
[٤] في روح المعاني ٣٠ / ٢٩٩ .
[٥] في جامعه ٢٠ / ١٠٤ .
[٦] في غرائبه ٣٠ / ١١٥ .
[٧] في تفسيره ٤ / ٥٢٤ .
[٨] وقد تعددت أقوال العلماء في ذلك ، فقيل : إنه وقع مرة واحدة ، وقيل : مرتين ، وقيل : ثلاث ، وقيل : أربع . راجع : فتح الباري ٧ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

من فسر الصدر بالقلب، وفي هذا إشارة إلى ما جاء في خبر شق الصدر من إخراج قلبه وإزالة مقر الوسوسة منه، وكلا المعنيين للشرح يفيد أنه إيقاع معنى عظيم لنفس النبيﷺ إما مباشرة وإما باعتبار مغزاه كما لا يخفى)[1].

خامسا: أن التأصيل اللغوي لكلمة الشرح يفيد أول ما يفيد أن المراد منها هو: بسط اللحم وتشريحه، وأن هذا هو الأصل، وأما استعماله في غير ذلك فإنما هو من باب المجاز.

وقد وردت عن رسول اللهﷺ أمارات شرح الصدر وانفساحه واتساعه.

روى الإمام الطبري في جامعه[2] بسنده عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺقالﷺ : فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلام ﴾[3] قالوا: يا رسول الله، وكيف يشرح صدره ؟ قال: " يدخل فيه النور فينفسح " قالوا: وهل لذلك من علامة يا رسول الله ؟ قال: " التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت ".

والمراد من الاستفهام في قوله: ﴿ **أَلَمْ** ﴾ إما الاستفهام الإنكاري حيث (استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك)[4].

وعبر عن الشرح بهذا الأسلوب ؛ (للإيذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن يجيب عنه بغير بلى)[5].

أو الاستفهام التقريري، قال أبو حيان: (ودخلت همزة الاستفهام على النفي فأفاد التقرير على هذه النعمة، فصار المعنى: قد شرحنا لك صدرك)[6].

وذكر الطاهر الغرض من هذا التقرير فقال: (وهذا التقرير مقصود به التذكير لأجل أن يراعى هذه المنة عندما يخالجه ضيق صدره مما يلقاه من أذى قوم، يريد صلاحهم وإنقاذهم من النار ورفع شأنهم بين الأمم ؛ ليدوم على دعوته العظيمة نشيطاً غير ذي أسف ولا كمد)[7].

---

[1] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٠٩ بتصرف .
[2] ٨ /٢١ ، وذكره السيوطي في دره ٥ / ٣٢٥ .
[3] الأنعام / ١٢٥ .
[4] الكشاف ٤ /٧٧٠ .
[5] روح المعاني ٣٠ / ٣٠١ .
[6] البحر المحيط ١٠ / ٤٩٩ .
[1] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٠٨ .

وقرئ قوله: " نشرح ": بفتح الحاء[1] وخرجه ابن عطية وغيره على أنه ألم نشرحن بنون التوكيد المخففة ثم أبدل منه ألفاً ثم حذفت للتخفيف[2]، وردها بقوله: (هي قراءة مردودة)[3].

وقال الشوكانى مبينا ضعفها – ويترتب عليه بالتالي ردها –: (فقد تركبت هذه القراءة من ثلاثة أصول كلها ضعيفة: الأول توكيد المجزوم بلم – وهو ضعيف –، الثاني: إبدالها ألفاً – وهو خاص بالوقف – فإجراء الوصل مجرى الوقف ضعيف، والثالث: حذف الألف – وهو ضعيف أيضاً – ؛ لأنه خلاف الأصل)[4].

وذكر الزمخشرى لها وجهاً آخر فقال: (وقالوا: لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها)[5].

وذكر أبو حيان لها تخريجاً أحسن من ذلك فقال: (ولهذه القراءة تخريج أحسن من هذا كله، وهو أنه لغة لبعض العرب وهي الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس)[6].

وتعقبه الشوكانى بقوله: (وهذه اللغة لبعض ما أظنها تصح، وإن صحت فليست من اللغات المعتبرة، فإنها جاءت بعكس ما عليه لغة العرب بأسرها، وعلى كل حال فقراءة هذا الرجل[7] مع شدة جوره ومزيد ظلمه وكثرة جبروته وقلة علمه ليست بحقيقة بالاشتغال بها)[8]، وقيل غير ذلك.

وفي الآية الكريمة أسرار عديدة يجليها لنا الإمام الرازي في صيغة سؤال وجواب يقول – رحمه الله–: (وهاهنا تساؤلات:

الأول: لم ذكر الصدر ولم يذكر القلب ؟

والجواب: لأن محل الوسوسة هو القلب على ما قال: ﴿ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾[9]، فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح، فلا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب.

---

[2] المحتسب لابن جني ٢ / ٣٦٦ ، المحرر الوجيز ٥ / ٤٩٦ ، الكشاف ٤ / ٧٧٠ ، البحر المحيط ١٠ / ٤٩٩ .
[3] المحرر الوجيز ٥ / ٤٩٦ .
[4] المرجع السابق ٥ / ٤٩٦ .
[5] فتح القدير ٥ / ٤٦١ .
[6] الكشاف ٤ / ٧٧٠ .
[7] البحر المحيط ١٠ / ٥٠٠ بتصرف يسير .
[8] ويعنى به أبا جعفر المنصور .
[9] فتح القدير ٥ / ٤٦١ .
[1] الناس / ٥ .

وقال محمد بن علي الترمذي: القلب محل العقل والمعرفة، وهو الذي يقصده الشيطان، فالشيطان يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب، فإذا وجد مسلكاً أغار فيه ونزل جنده فيه، وبث فيه من الهموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإسلام حلاوة، وإذا طرد العدو في الابتداء منع وحصل الأمن ويزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام بأداء العبودية.

السؤال الثاني: لم قال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ولم يقل: ألم نشرح صدرك ؟

والجواب: من وجهين:

أحدهما: كأنه – تعالى – يقول: لام بلام فأنت إنما تفعل جميع الطاعات لأجلي كما قال: ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾[2]، فأنا – أيضا – جميع ما أفعله لأجلك.

وثانيهما: أن فيها تنبيهاً على أن منافع الرسالة عائدة إليه ﷺ كأنه قال: إنما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي.

السؤال الثالث: لم قال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ ولم يقل: ألم أشرح ؟

والجواب: إن حملناه على نون التعظيم، فالمعنى أن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة، فدل ذلك على أن ذلك الشرح نعمة لا تصل العقول إلى كنه جلالتها، وإن حملناه على نون الجمع، فالمعنى كأنه – تعالى– يقول: لم أشرحه وحدي بل أعملت فيه ملائكتي، فكنت ترى الملائكة حواليك وبين يديك حتى يقوى قلبك، فأديت الرسالة وأنت قوي القلب ولحقتهم هيبة،

---

[2] الذاريات / ٥٦ .

[3] طه / ١٤ .

فلم يجيبوا لك جواباً، فلو كنت ضيق القلب لضحكوا منك، فسبحان من جعل قوة قلبك جبناً فيهم، وانشراح صدرك ضيقاً فيهم)[1].

[1] مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٩١ ، ٤٩٢ .

قوله ﷻ: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

عطف على معنى قوله – تعالى –: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ لا على لفظه ؛ لأنه لو كان على اللفظ لقيل: ونضع عنك وزرك، قال القرطبي– رحمه الله –: (﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ فهذا عطف على التأويل لا على التنزيل ؛ لأنه لو كان على التنزيل لقال: ونضع عنك وزرك، فدل هذا على أن معنى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ قد شرحناه)[1].

والوضع: الحط، **والوزر**: الذنب، أو الحمل الثقيل، أو الحرج.

وقد تعددت الأقوال في المراد من الوزر الذي وضعه الله – تعالى – عن رسول الله ﷺ.

فقيل: ما صدر منه ﷺ قبل البعثة مما يشق عليه ﷺ تذكره ؛ لكونه في نظره العالي دون ما هو عليه ﷺ بعد، ومعنى وضعه: أن الله ﷻ غفر له ذلك.

وقيل: غفلته عن الشرائع ونحوها مما لا يدرك إلا بالوحي، مع تطلبه ﷺ له، ومعنى وضعه: أن الله ﷻ أزال غفلته ﷺ عما غفل عنه بتعليمه إياه بالوحي ونحوه.

وقيل: حيرته ﷺ في بعض الأمور كأداء حق الرسالة أو الوحي وتلقيه، فقد كان يثقل عليه ﷺ في ابتداء أمره جداً، ومعنى وضعه: إزالة ما يؤدي لحيرته وتيسيره له ﷺ بتدربه واعتياده عليه.

وقيل: ما كان يراه ﷺ من ضلال قومه مع العجز عن إرشادهم لعدم طاعتهم له، وإذعانهم للحق، ومعنى وضعه: أن الله ﷻ وفق بعضهم للإسلام كحمزة وعمر وغيرهما.

وقيل: ما كان يراه من تعديهم في إيذائه ﷺ، ومعنى وضعه: أن الله – تعالى – قواه على تحمل جميع ما كان منهم.

وقيل: ما أهمه ﷺ من وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة – رضي الله عنها – بناء على نزول السورة بعد وفاتهما، ومعنى وضعه: أن الله ﷻ أزال ذلك عنه برفعه إلى السماء حيث الإسراء والمعراج حتى لقيه كل ملك وحياه، وظفر بمشاهدة محبوبه الأعظم ومولاه ﷻ[2].

قال الألوسى– رحمه الله – معقباً على هذه الأقوال: (وأيا ما كان ففي الكلام استعارة تمثيلية والوضع ترشيح لها)[3].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٥ .

[2] راجع هذه الأقوال في : روح المعاني ٣٠ / ٣٠٣ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، الكشاف ٤ / ٧٧٠ ، فتح القدير ٥ / ٤٦١ .

[3] روح المعاني ٣٠ / ٣٠٣ .

وقال الطاهر – رحمه الله –: (والكلام تمثيل لحال إزالة الشدائد والكروب بحال من يحط ثقلاً عن حامله من عناء الثقل)[1].

وبين المعنى فقال: (والمعنى أن الله أزال عنه كل ما كان يتحرج من عادات أهل الجاهلية التي لا تلائم ما فطر الله عليه نفسه من الزكاء والسمو، ولا يجد بداً من مسايرتهم عليه، فوضع عنه ذلك حين أوحى إليه بالرسالة، وكذلك ما كان يجده في أول بعثته من ثقل الوحي فيسره الله عليه بقوله: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى ﴾ إلى قوله:
﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ "[2])[3].

وذهب أبو حيان إلى أن وضع الوزر كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس، وقد عبر عن ذلك بالوضع على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك: كما يقول القائل: رفعت عنك مشقة الزيارة، لمن لم يصدر منه زيارة على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه)[4]، ولا يخفى أن قول أبي حيان يراد من التمثيل– أيضا –.

وقيل: (إن المراد وزر أمتك وإنما أضيف إليه ﷺ لاهتمامه بشأنه وتفكره في أمره، والمراد بوضعه: رفع غائلته في الدنيا من العذاب العاجل ما دام ﷺ فيهم وما داموا يستغفرون)[5]، وعقب عليه الألوسى بقوله: (ولا يخفى بعد هذا الوجه)[6]، وقيل: غير ذلك.

وقوله: " **عَنْكَ** " متعلق بالفعل " **وَضَعْنَا** "، وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح "**وِزْرَكَ** " ؛ (للقصد إلى تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر، وكما أن في وصفه نوع طول، فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم)[7].

وقرأ ابن مسعود الآية الكريمة: " وحللنا عنك وقرك "، وقرأ أنس: " وحططنا " و " حللنا" بدلاً من "وضعنا "[8].

---

[1] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٠ .
[2] الأعلى / ٦ : ٨ .
[3] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٠ .
[4] البحر المحيط ١٠ / ٥٠٠ .
[6] المرجع السابق نفس الموضع .
[7] روح المعاني ٣٠ / ٣٠٢ .
[8] انظر هذه القراءات في : المحتسب ٢ / ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، الكشاف ٤ / ٧٧٠ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٥ ، روح المعاني ٣٠ / ٣٠٣ ، فتح القدير ٥ / ٤٦٢ .

قال ابن عطية: (وذكر أبو عمرو أن النبي ﷺ صوب جميعها)[1].

وقوله: " **الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ** " نعت للوزر، وهو تتمة للتمثيل بأنه وزر عظيم، وقد وصف ذنبه ﷺ بذلك – مع أنه مغفور له – لشدة اغتمامه ﷺ بوقوعه منه، واهتمامه به، وندمه وتحسره عليه.

والنقض مصدر كالنقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك، يقال: أنقض الحمل ظهر البعير، إذا سمعت له صريراً من شدة الحمل، سمعت نقيض الرجل أي صريره، (ولا يختص بصوت المحامل والرجال، بل يضاف إلى المفاصل فيقال: نقيض المفاصل ويراد صوتها، فنقيض الظهر ما يسمع من مفاصله من الصوت لثقل الحمل)[2].

ومعنى " **الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ** " الذي أثقلك حتى سمع نقيضك، أي: صوتك.

وفي إسناد النقض إلى الوزر مجاز عقلي، قرينته السببية.

والكلام من قبيل التمثيل حيث شبه هيئته ﷺ وهو متجشم المشاق والمتاعب، ومتحمل الآلام، بهيئة من يحمل حملاً ثقيلاً حتى يسمع لعظام ظهره فرقعة وصرير، بجامع العناء والتعب والثقل في كل.

قال الطاهر: (وهو تمثيل بديع ؛ لأنه تشبيه مركب قابل لتفريق التشبيه على أجزائه)[3].

---

[1] المحرر الوجيز ٥ / ٤٩٧ .
[2] روح المعاني ٣٠ / ٣٠٢ .
[3] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٠ .

قوله – تعالى –: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

عطف – أيضاً – على معنى قوله: " **ألم نشرح** "، والكلام في سر المجيء بالجار والمجرور "**لَكَ** "، وتقديمه على المفعول كالكلام في الآيتين السابقتين.

وفي المراد من رفع ذكره ﷺ أقوال:

الأول: رفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها كما في كلمتي الشهادة، وفي جعل طاعته ﷺ كطاعته ﷻ[1] وصلاته ﷻ وملائكته عليه، وأمر المؤمنين بذلك[2]، ومخاطبته بالألقاب كما في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ[3]، الْمُزَّمِّلُ[4]، النَّبِيُّ[5]، الرَّسُولُ[6]، وذكره في الأولين...الخ ﴾.

الثاني: رفعنا لك ذكرك في الآخرة بالمقام المحمود وكرائم الدرجات كما رفعناه في الدنيا.

الثالث: أن تذكر معي إذا ذكرت[7].

روى الإمام الطبري في جامعه[8] بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: " أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعت لك ذكرك ؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي "، و لله در حسان ﷺ حين قال:

ألم تر أن الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجد
أغر عليه من النبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد[9]

---

(1) كما في قوله – تعالى – : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ الآية /٨٠ .

(2) كما في قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما ﴾ الأحزاب / ٥٦ .

(3) المدثر / ١ .

(4) المزمل / ١ .

(5) الأحزاب / ١ .

(6) المائدة / ٤١ ، ٦٧ .

(7) راجع : روح المعاني ٣٠ / ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٦ ، ١٠٧ ، الكشاف ٤ / ٧٧٠ ، البحر المحيط ١٠ / ٥٠٠ ، النكت والعيون ٤ / ٥٠٣ .

(8) ٣٠ / ١٥١ .

(9) راجع : معالم التنزيل للبغوى ٤ / ٤٦٩ ، تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٢٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٦ .

قال الإمام الفخر – رحمه الله –: (اعلم أنه عام في كل ما ذكروه من النبوة، وشهرته في الأرض والسماوات، اسمه مكتوب على العرش، وأنه يذكر معه في الشهادة والتشهد، وأنه – تعالى – ذكره في الكتب المتقدمة، وانتشار ذكره في الآفاق، وأنه ختمت به النبوة، وأنه يذكر في الخطب والآذان ومفاتيح الرسائل، وعند الختم.

وجعل ذكره في القرآن مقروناً بذكره: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾[1]، ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[2]، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾[3]، وينادي باسم الرسول والنبي حين ينادي غيره بالاسم يا موسى يا عيسى.

– وأيضاً – جعله في القلوب بحيث يستطيعون ذكره وهو معنى قوله – تعالى –: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾[4] كأنه – تعالى – يقول: أملأ العالم من أتباعك، كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون سنتك، بل ما من فريضة من فرائض الصلاة وإلا معه سنة فهم يمتثلون في الفريضة أمري وفي السنة أمرك، وجعلت طاعتك طاعتي وبيعتك بيعتي: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[5]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾[6]، لا تأنف السلاطين من اتباعك، بل جراءة لأجهل الملوك أن ينصب خليفة من غير قبيلتك، فالقراء يحفظون ألفاظ منشورك، والمفسرون يفسرون معاني فرقانك، والوعاظ يبلغون وعظك، بل العلماء والسلاطين يصلون إلى خدمتك، ويسلمون من وراء الباب عليك، ويمسحون وجوههم بتراب روضتك، ويرجون شفاعتك، فشرفك باق إلى يوم القيامة)[7].

وفي ذكر الرفع بعد الوضع وسبقه بالشرح مزيد اعتناء به ﷺ وإيماء إلى أن الذي يسره ويسعده ﷺ مقدم على ما يسوءه ويحزنه، ولا يخفى ما بين هذه الآيات من ترابط وثيق وتلاحم عميق ؛ حيث إنها كلها من النعم التي أنعم الله – تعالى – بها على رسوله ﷺ.

---

[1] التوبة / ٦٢ .
[2] النساء / ١٣ .
[3] المائدة / ٩٢ .
[4] مريم / ٩٦ .
[5] النساء / ٨٠ .
[6] الفتح / ١٠ .
[7] مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

قوله – تعالى –: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾.

وعد من الله – تعالى – لرسوله ﷺ مسوق للتسلية والتنفيس عنه، أو وعد له ﷺ ولأمته، أو جملة معترضة بين قوله: " وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ "، وقوله: " فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ "، وأياً كان المراد فالغرض منه بيان أن الله – تعالى – لطيف بعباده لا يتركهم... وإنما يجعل لهم مع كل عسر يسراً.

والفاء في " **فَإِنَّ** " إما أن تكون للفصيحة، أي: أفصحت عن شرط مقدر هو: إذا علمت ما تقرر وهو تعداد النعم فاعلم أن اليسر مصاحب للعسر، وملازم له.

و ال في " **الْعُسْرِ** " على هذا للعهد، والتنكير في " **يسر** " للتفخيم والتعظيم، والمعنى: إن مع العسر يسراً عظيماً وأي يسر.

أو تكون للسببية، وقد دخلت هنا على السبب وهو إن، والمتعارف دخولها على المسبب لكونه مسبباً عن السبب، ولا شيء في ذلك ؛ لأن ذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر.

وال في " **الْعُسْرِ** " على هذا تفيد الاستغراق، والتنوين في " **يُسْر** " للتفخيم – أيضاً –

والمعنى: فعلنا لك كذا وكذا ؛ لأن مع كل عسر كضيق الصدر، والوزر المنقض للظهر يسراً عظيماً كالشرح والوضع والرفع للذكر، فلا تيأس من روح الله – تعالى– إذا عراك ما يغمك.

يقول الطاهر – رحمه الله –: (وحرف " **إن**" للاهتمام بالخبر، وإنما لم يستغن بها عن الفاء كما يقول الشيخ عبد القاهر: (" **إن** " تغني غناء فاء التسبب ؛ لأن الفاء هنا أريد بها الفصيحة مع السبب، فلو اقتصر على حرف " **إن** " لفات معنى الفصيحة)[1].

وقيل: إنها تفريعية حيث أفادت تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزء على الكل، أي أن الله – تعالى – قد شرح له ﷺ صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وهذا يسر لعسر ما، فكلما حدث له عسر– بعد ذلك – فسيكون له يسر – إن شاء الله تعالى–[2].

---

[1] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٤ .

[2] انظر هذه الأقوال في : روح المعاني ٣٠ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ بتصرف .

و " **مَعَ** " مستعملة في غير معناها الحقيقي، وهو إفادة المعية والمصاحبة ؛ لأن العسر واليسر نقيضان، والنقيضان لا يجتمعان، فلزم أن يكون المراد قرب حصول اليسر عقب حلول العسر، أو ظهور بوادره، ومعاقبته له واتصاله به.

قال الإمام الرازي: (اليسر لا يكون مع العسر ؛ لأنهما ضدان لا يجتمعان، فكيف قال ذلك ؟

الجواب: لما كان وقوع اليسر بعد العسر بزمان قليل، كان مقطوعاً به فجعل كالمقارنله)[1].

ولا تناقض بين هذه الآية وبين قوله – تعالى– في سورة الطلاق: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾[2] ؛ لأن آيتنا في عسر خاص بالنبي ﷺ، والآية الأخرى في عسر عام، كما أن سياق الآيتين ليس واحداً، – وأيضاً – فإن المعية وإن كانت بمعنى بعد، فإنها تفيد القرب والملازمة، بخلاف البعدية فإنها تكون على مراحل متعددة.

والعسر: المشقة في تحصيل المرغوب والعمل والمقصود.

واليسر: سهولة تحصيل المرغوب وعدم التعب فيه.

وقوله: " **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً** " فيه احتمالان:

الأول: أن يكون تكريراً للجملة الأولى، والغرض من ذلك تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب.

الثاني: أن يكون وعداً مستأنفاً، وهو استئناف نحوي، وهو الراجح لما فيه من التأسيس – أي إضافة معنى جديد – ونلحظ هذا من إعادة النكرة في قوله: " **يُسْراً** "، فإن الظاهر التغاير، ومن ظهور الفرق بين كل من اليسر والعسر.

وقد يقول قائل: إن هاتين الآيتين الجليلتين قد باين نظمهما وأسلوبهما سائر آيات السورة الكريمة، فقد جاءت كلها بأسلوب الخطاب، تارة بالكاف كما في الآيات الأربعة السابقة، والآية الأخيرة، وأخرى بالتاء كما في الآية السابعة، ولو كان نظم الآيتين كذلك لقيل: فإن مع عسرك يسراً. إن مع عسرك يسراً، فما السر في ذلك ؟

---

[1] مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٩٦ بتصرف يسير .

[2] آية / ٧ .

والجواب: أنه لو قيل: فإن مع عسرك يسرا لأفاد تيسير العسر بالنسبة لرسولنا ﷺ وحده، وقصر ذلك عليه، وحصره فيه، وأما غيره فلا، وهذا ليس مراداً ؛ لأن العسر كما وقع للرسول ﷺ فقد وقع لسائر المؤمنين – الصحابة وغيرهم – وهذا يتطلب يسراً معه – أيضا – لاسيما وقد وردت روايات تفيد عموم الآية وشمولها.

روى الإمام ابن جرير في جامعه[1] بسنده عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية " فإن مع العسر يسراً " قال رسول الله ﷺ: " أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين ".

وعقب الطاهر – رحمه الله – على هذه الرواية بقوله: (فاقتضى أن الآية غير خاصة بالنبي ﷺ، بل تعمه وأمته)[2].

وروى الإمام مالك – رحمه الله – في الموطأ[3] عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة ابن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد: " فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين... ".

وعلى هذا فالآيتان تفيدان أن مع أي عسر يسراً، سواء أكان للنبي ﷺ أم لسائر أمته.

قال الطاهر – رحمه الله –: (ويجوز أن يكون هذا وعداً للنبي ﷺ ولأمته ؛ لأن ما يعرض له من عسر إنما يعرض له في شئون دعوته للدين ولصالح المسلمين)[4].

ولعل استقلال الآيتين بالتأكيد – دون سائر الآيات – يعضد هذا – أيضاً – فكأنهما بمثابة الطمأنينة لجميع الأفئدة.. حتى لا تجزع أو تيأس أو تقنط من أي عسر كان، وإذا علم المؤمنون ذلك فرحوا واستبشروا وسعدوا واطمأنوا... وهذا من فضل الله – تعالى – وكرمه، وفيضه وعطائه...

حقاً (وكان في هذه الآية عبرة لهذه الأمة، وكان عليها أن تعرف أن مع العسر يسرا، وأن وعد الله في ذلك حق، وأن تقتدي بنبيها في طلب الوسائل للخلاص مما هي فيه، وعندها كتاب

---

[1] ٣٠ / ١٥١ .
[2] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٤ .
[3] كتاب الجهاد باب الترغيب في الجهاد ص٤٤٦ رقم (٦) .
[4] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٤ .

الله – وحده – هداية للمهتدي، وقدوة للمقتدي)[1]، فسبحان من أنزل القرآن ونسق آياته... ونظم أحرفه ورتب كلماته...

وفي الآيتين الكريمتين – بعد ذلك – تساؤل مهم، وهو هل العسر فيهما بمعنى، وكذا اليسر أو لا ؟

والجواب: أن للمفسرين في ذلك قولين:

الأول: أن العسر في الآيتين واحد واليسر متعدد.

والمعنى على هذا: أن مع كل عسر يسرين، والمراد منهما يسر دنيوي، ويسر أخروي، وقد بنوا كلامهم هذا على أن عادة العرب أنهم إذا ذكروا اسماً معرفا ثم كرروه كان هو هو، وإذا كان نكرة ثم كرروه فهو غيره، أي أنهما اثنان، وذلك ليكون أقوى للأمل وأبعث على الصبر[2].

وقد جاء في الحديث[3]: " لن يغلب عسر يسرين "، ونص الحديث يفيد ارتباط لفظه ومعناه بالآية الكريمة، لاسيما أن في بعض الروايات أنه ﷺ قرأ هذه الآية عقبه مباشرة.

وقد أبطل هذا الكلام جماعة، قال الإمام القرطبي – رحمه الله –: (وقال قوم منهم الجرجاني: هذا قول مدخول ؛ لأنه يجب على هذا التدرج إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفاً، إن مع الفارس سيفاً، أن يكون الفارس واحداً والسيف اثنين.

والصحيح أن يقال: إن الله بعث نبيه محمداً ﷺ مقلاً مخفاً، فعيره المشركون بفقره، حتى قالوا له: نجمع لك مالاً فاغتم وظن أنهم كذبوه لفقره، فعزاه الله، وعدد نعمه عليه، ووعده الغنى بقوله: " فإن مع العسر يسراً " أي: لا يحزنك ما عيروك به من الفقر، فإن مع العسر يسراً عاجلاً، أي في الدنيا، فأنجز له ما وعده، فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن، ووسع ذات يده، حتى كان

---

[1] تفسير جزء عم للأستاذ الإمام الشيخ / محمد عبده ص ١١٤ .

[2] الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٧ ، وزاد الشيخ عبد الكريم الخطيب وجهاً آخر في تكرار المعرفة فقال : (ووجه آخر ، نراه نحن – والله أعلم – وهو هذه المعية "مع" التي تحمل مع كل عسر يسراً مصاحباً له ، مندسا في كيانه .. " إن مع العسر يسرا " أي إن العسر – أي عسر – لا يلقى الإنسان إلا ومن محامله اليسر ، الذي يعمل على مقاومته ، ومصارعته ، حتى يقهره آخر الأمر ، ويتركه صريعاً ليأخذ اليسر مكانه ، متمكناً لا ينازعه عسر ! هكذا الشدائد تتولد فيها – دائماً – مواليد الخير ، وتستنبت في أرضها أطيب الثمرات وأكرمها وأهنؤها) التفسير القرآني للقرآن ٧ /١٦١٠ ، ١٦١١ .

[3] أخرجه الطبري في جامعه ٣٠ / ١٥١ ، والحاكم في مستدركه ٢ / ٥٢٨ ، وقال : مرسل ، ووافقه الذهبي ٢ / ٥٢٨ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ / ٥٢٥ وعزاه إليه .

يعطي الرجل المائتين من الإبل، ويهب الهبات السنية، ويعد لأهله قوت سنة، فهذا الفضل كله من أمر الدنيا، وإن كان خاصاً بالنبي ﷺ فقد يدخل فيه بعض من أمته – إن شاء الله تعالى –

ثم ابتدأ فضلاً آخر من الآخرة، وفيه تأسية وتعزية له ﷺ فقال مبتدئاً: " إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً " فهو شيء آخر، والدليل على ابتدائه تعريه من فاء أو واو أو غيرها من حروف النسق التي تدل على العطف، فهذا وعد عام لجميع المؤمنين لا يخرج أحد منه، أي: إن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسراً في الآخرة لا محالة، وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الآخرة.

والذي في الخبر: " لن يغلب عسر يسرين " يعني العسر الواحد لن يغلبهما وإنما يغلب أحدهما إن غلب، وهو يسر الدنيا، فأما يسر الآخرة فكائن لا محالة، ولن يغلبه شيء أو يقال: " إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ " وهو إخراج أهل مكة للنبي ﷺ " يُسْراً " وهو دخوله يوم فتح مكة مع عشرة آلاف رجل مع عز وشرف)[1].

الثاني: أن العسر واليسر في الآيتين واحد، وعلى هذا تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى، وقد سبق ذكر الغرض من التوكيد.

ورجح الطاهر – رحمه الله– هذا القول، وبين أن المراد من التكرير هو التكثير وليس التثنية – فقط – فقال: (والذي يظهر في تقرير معنى قوله: " لن يغلب عسر يسرين " أن جملة " إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً " تأكيد لجملة " فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً "، ومن المقرر أن المقصود من تأكيد الجملة في مثله هو تأكيد الحكم الذي تضمنه الخبر، ولا شك أن الحكم المستفاد من هذه الجملة هو ثبوت التحاق اليسر بالعسر عند حصوله، فكان التأكيد مفيداً ترجيح أثر اليسر على أثر العسر، وهذا الترجيح عبر عنه بصيغة التثنية في قوله: " يسرين " فالتثنية هنا كناية رمزية عن التغلب والرجحان، فإن التثنية قد يكنى بها عن التكرار المراد من التكثير كما في قوله – تعالى : ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[1] أي: ارجع البصر كثيراً ؛ لأن البصر لا ينقلب حسيراً من رجعتين، ومن ذلك قول العرب: لبيك، وسعديك، ودواليك، والتكرير يستلزم قوة الشيء المكرر فكانت القوة لازم لازم التثنية، وإذا تعددت اللوازم كانت الكناية رمزية.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٨ .
[1] الملك / ٤ .

وليس ذلك مستفاداً من تعريف " العسر " باللام، ولا من تنكير " اليسر " وإعادته منكراً[٢].

وأثار فضيلة الشيخ الخطيب سؤالاً مهماً وأجاب عليه فقال: (وهناك سؤال: إذا كان مع العسر يسر، فهل العكس صحيح، وهو أن يكون مع اليسر عسر ؟

كلا.. فإن العسر رحمة من رحمات الله.. إنه من موارد الحق والخير.. وما كان كذلك كان صفواً من كل كدر، خالصاً من كل سوء، فاليسر لا يحمل في كيانه – أبدا – شيئا ما يكدره، إنه من العالم العلوي أشبه بماء المطر لا يخالطه شيء من الملح، أما العسر فهو أشبه بالماء الملح يحمل في كيانه الماء العذب... اليسر جوهر، والعسر عرض ! ومن هنا نجد مع كل عسر يسراً، ولا نجد مع كل يسر عسراً، ومن هنا – أيضا – يلد العسر يسراً، ولا يلد اليسر عسراً)[٣].

وهذا محض كرم وعظيم فضل من المولى ﷻ بعباده وخلقه..... فاللهم لك الحمد حمداً يوافي نعمك ويكافئ مزيدك يا رب العالمين.

وقرئ كل من العسر واليسر بضم السين[٤].

قوله – تعالى –:﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴾.

عطف على ما سبق من أول السورة ؛ ولهذا ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً.

---

[٢] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٦ .

[٣] التفسير القرآني للقرآن ٨ / ١٦١١ .

[٤] إتحاف فضلاء البشر للبنا ص٢٠٠ ، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢ / ١٧٠، روح المعاني ٣٠ / ٣٠٧ ، فتح القدير ٥ / ٤٦٢ .

يقول الفخر – رحمه الله–: (وجه تعلق هذا بما قبله أنه – تعالى – لما عدد نعمه السالفة ووعدهم بالنعم الآتية لا جرم بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة فقال: " **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ** " أي: فاتعب، يقال: نصب ينصب)[1]

وقال الطاهر – رحمه الله –: (تفريع على ما تقرر من التذكير باللطف والعناية، ووعده وتيسير ما هو عسير عليه في طاعته التي أعظمها تبليغ الرسالة دون ملل ولا ضجر)[2].

والفراغ: خلو باطن الظرف أو الإناء ؛ لأن شأنه أن يظرف فيه، والفعل فرغ يفيد أن فاعله كان مملوءاً بشيء، وفراغ الإنسان مجاز في إتمام ما من شأنه أن يعمله)[3].

وقد تعددت أقوال المفسرين في تحديد المفروغ منه، وبيان معنى النصب على كل:

فعن ابن عباس – رضي الله عنهما –: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء

وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل.

وقيل: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب، أي: استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات.

وقال الحسن وقتادة – أيضاً –: إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك.

وعن مجاهد: فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك، ونحوه عن الحسن.

وقال الجنيد: إذا فرغت من أمر الخلق فاجتهد في عبادة الحق[4].

وأماط الألوسى – رحمه الله – اللثام عن سر بعض هذه الأقوال فقال: (وأما قول ابن عباس ومن معه فهو تخصيص لبعض العبادات فراغاً وشغلاً إما مثالاً ؛ لأن اللفظ خاص، وهو الأظهر، وكذا يقال فيما روي عن ابن مسعود، وإما لأن الصلاة أم العبادات البدنية والدعاء مخ العبادة فهما هما، وقول الحسن فيه ما شاع من قوله ﷺ: " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر "[1]، وهو قريب، إلا أنه قيل عليه: إن السورة مكية والأمر بالجهاد بعد الهجرة، ولعله يقول

---

[1] مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٩٧ .

[2] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٦ .

[3] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٦ .

[4] راجع : روح المعاني ٣٠ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٨ ، ١٠٩، جامع البيان ٣٠ / ١٥١ ، ١٥٢ ، مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٩٧ ، البحر المحيط ١٠ / ٥٠١ .

[4] أخرجه الخطيب – بألفاظ قريبة – في تاريخه ١٣ / ٥٢٣ ، والبيهقي في الزهد الكبير ٢ / ١٦٥(٣٧٣) ، وذكره العجلوني في كشف الخفاء ١ / ٤٢٤ وعزاه إليهما ، وذكر أن اللفظ المذكور هو المشهور على الألسنة .

بمدنيتها أو مدنية هذه الآية، أو أنها مما تأخر حكمه عن نزوله كآيات أخر، وقول مجاهد نظر فيه إلى أن الفراغ أكثر مما يستعمل في الخلو عن الأشغال الدنيوية، كما في قوله ﷺ: " اغتنم فراغك قبل شغلك "[٢] وهو أضعف الأقوال ؛ لبعده عما يقتضيه السياق وتؤذن به الفاء)[٣].

ولا يخفى أن هذه الأقوال وغيرها تعد من قبيل التمثيل المراد من الآية الكريمة، وعليه فلا تباين بينها، وأن الغرض من حذف المتعلق هو إفادة العموم والشمول لكل ما تحتمله الآية.

يقول الطاهر – رحمه الله –: (واختلفت أقوال المفسرين من السلف في تعيين المفروغ منه، وإنما هو اختلاف في الأمثلة فحذف المتعلق هنا ؛ لقصد العموم وهو عموم عرفي لنوع من الأعمال التي دل عليها السياق ؛ ليشمل كل متعلق عمله مما هو مهم –كما علمت – وهو أعلم بتقديم بعض الأعمال على بعض إذا لم يكن اجتماع كثير منها بقدر الإمكان، كما أقر الله بأداء الصلاة مع الشغل بالجهاد بقوله: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ إلى قوله: "كتاباً موقوتاً " في سورة النساء[٤].

وهذا الحكم ينسحب على كل عمل ممكن من أعماله الخاصة به مثل: قيام الليل والجهاد عند تقوى المسلمين وتدبير أمور الأمة)[٥].

وقال الرازي – رحمه الله –: (وبالجملة فالمعنى أن يواصل بين بعض العبادات وبعض، وألا يخلي وقتاً من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة أتبعها بأخرى)[٦].

وقال الطبري – رحمه الله –: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: إن الله– تعالى – أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان به مشتغلاً من أمر دنياه وآخرته مما أدى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته والاشتغال فيما قربه إليه ومسألته حاجاته، ولم يخصص بذلك حالاً من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه من صلاة كان فراغه أو جهاد أو

---

[٢] جزء من حديث أخرجه البيهقي في الشعب ٧ / ٢٦٣ ، الحاكم في مستدركه ٤ / ٣٠٦ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في التلخيص ٤ / ٣٤١ .

[٣] روح المعاني ٣٠ / ٣٠٨ .

[٤] آيتا / ١٠٢ ، ١٠٣ .

[٥] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٧ .

[٦] مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٩٧ .

أمر دنيوي كان مشتغلاً به لعموم الشرط في ذلك من غير خصوص حال فراغ دون حال أخرى)[1].

وبما أن الرسول ﷺ هو الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة فينبغي على كل إنسان مؤمن أن يتأسى به ويقتدي، فإذا فرغ من أمر نصب لغيره حتى يغتنم وقته وحياته في عبادة ربه ﷻ، وإلا كان سفيه الرأي، فارغ البال، عديم العقل، في غفلة دائمة وسبات عميق.

يقول العلامة الألوسى – رحمه الله –: (وأشعرت الآية بأن اللائق بحال العبد أن يستغرق أوقاته بالعبادة، أو بأن يفرغ إلى العبادة بعد أن يفرغ من أمور دنياه على ما سمعت من قول مجاهد فيها، وذكروا أن قعود الرجل فارغاً من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة، وعن عمر ﷺ: إني لأكره أن أرى أحدكم فارغاً سبهللاً لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته، وروى أن شريكاً مر برجلين يصطرعان فقال: ما بهذا أمر الفارغ)[2].

فعلى الإنسان العاقل الحصيف ألا يضيع أوقاته في الكسل والدعة، ويقبل بجميع قواه على تحصيل ما ينفعه في الدارين.

وفي التحرير: (وتقديم " فَإِذَا فَرَغْتَ " على " فَانصَبْ " للاهتمام بتعليق العمل بوقت الفراغ من غيره لتتعاقب الأعمال، وهذه الآية من جوامع الكلم القرآنية لما احتوت عليه من كثرة المعاني)[3].

وقرئ " فرِغت " – بكسر الراء – وهي لغة، قال الزمخشرى: (وليست فصيحة)[4].

وقرأ بعض الإمامية فانصِب – بكسر الصاد – أي: فإذا فرغت من النبوة فانصب علياً للإمامة، وليس في الآية دليل على خصوصية علي –كرم الله وجهه – وإلا لكان لغيرهم أن يقدر غيره كالسني وغيره، وهي قراءة شاذة وباطلة ؛ لأنها لم تثبت عن عالم.

---

[1] جامع البيان ٣٠ / ١٥٢ .
[2] روح المعاني ٣٠ / ٣٠٨ .
[3] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٧ .
[4] الكشاف ٤ / ٧٧٢ .

وقرئ فانصبَّ بتشديد الباء[1] أي: فإذا فرغت من الجهاد فجد في الرجوع إلى بلدك، وهذا باطل – أيضاً – لمخالفته الإجماع وإن كان معناه صحيحاً لحديث " السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله "[2].

قال الإمام القرطبي: (وأشد الناس عذاباً وأسوأهم مباء ومآباً من أخذ معنى صحيحاً فركب عليه من قبل نفسه قراءة أو حديثاً، فيكون كاذباً على الله، كاذباً على رسوله، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبا ﴾[3])[4] – وقانا الله شر ذلك –.

---

[1] انظر هذه القراءات في : البحر ١٠ / ٥٠١ ، الكشاف ٤ / ٧٧٢ ، المحرر الوجيز ٥ / ٤٩٧ ، ٤٩٨ الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٩ .

[2] أخرجه البخاري (فتح الباري) ك العمرة باب السفر قطعة من العذاب ٣ / ٧٢٨ ، مسلم في صحيحه (نووي) ك الإمارة باب السفر قطعة من العذاب ١٣ / ٧٠ ، والنَّهْمة – بفتح النون وسكون الهاء – الحاجة .

[3] الكهف / ١٥ ، ونصها " فمن " وليس ومن .

[4] الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٠٩ .

قوله – تعالى –: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

عطف على تفريع الأمر بالشكر على النعم، أمر بطلب استمرار نعم الله – تعالى – عليه، كما قال – تعالى –: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1] [2].

والرغبة في الأصل: السعة في الشيء يقال: رُغب الشيء: اتسع، والرغبة والرغب والرغبى: السعة في الإرادة[3]، وهي طلب حصول ما هو محبوب.

والأصل في الفعل رغب: أن يتعدى إلى المطلوب بنفسه أو بحرف الجر في، لكنه عدى هنا بحرف الجر " إلى " لتضمنه معنى الإقبال والتوجه، أي أقبل إلى الله – وحده –، وتوجه إليه دون غيره.

وقدم الجار والمجرور " إِلَى رَبِّكَ " على الفعل " فَارْغَبْ " ؛ لإفادة الاختصاص، أي: إليه – وحده – لا إلى غيره تكون رغبتك.

قال الألوسى – رحمه الله –: (" وَإِلَى رَبِّكَ " – وحده – " فَارْغَبْ " فاحرص بالسؤال ولا تسأل غيره – تعالى – ؛ فإنه القادر على الإسعاف لا غيره ﷻ)[4].

وقال الرازي – رحمه الله –: (قوله – تعالى –: ﴿ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: اجعل رغبتك إليه خصوصاً، ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه.

وثانيهما: ارغب في سائر ما تلتمسه ديناً ودنيا ونصرة على الأعداء إلى ربك)[5].

وقرئ فرغَّب – بتشديد الغين – أمر من رغَّب، أي اصرف وجه الرغبات إليه لا إلى سواه[6].

اللهم اجعلنا من هؤلاء الذين إذا فرغوا من طاعة ولجوا في أخرى، وتعبوا فيها، ولا يرغبون إلا إليك، ولا يعتمدون إلا عليك، ولا يرجون إلا سواك، اللهم آمين.

هذا ما منَّ الله – تعالى – به عليَّ في تفسير هذه السورة الكريمة، والحمد الله في البدء، والحمد لله في الختام.

وصلى الله – تعالى – على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1] إبراهيم / ٧ .
[2] التحرير والتنوير ٣٠ / ٤١٧ .
[3] المفردات ص ١٩٨ مادة (رغب) .
[4] روح المعاني ٣٠ / ٣٠٧ .
[5] مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٩٧ .
[6] البحر المحيط ١٠ / ٥٠١ ، الكشاف ٤ /٧٧٢ ، فتح القدير ٥ / ٤٦٢ .

الخاتمة – نسأل الله تعالى حسنها –

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد

فبعد هذه التطوافة في هذا الرياض العطر، والبستان المزهر – رياض السورة الكريمة وبستانها – ومعايشتها، والوقوف على بعض أسرارها ودررها ولآلئها وكنوزها، نوقن أن القرآن الكريم معجز حقاً ؛ حيث تنطوي ألفاظه القليلة على معاني كثيرة، وجمله القصار على مرادات عديدة، لا يعلم نهايتها إلا الله ﷻ، وصدق الله – تعالى – إذ يقول: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[1]، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وقد استبان لنا ذلك – بحمد الله تعالى – إبان تفسير سورتنا المباركة، فقد علمنا أن عدد آيها ثمان، وكل واحدة منها تحتاج إلى تأملات ووقفات.

وإذا كان شأن هذه السورة كذلك – وهي من السور القصار، أو من سور المفصل – فما بالنا بالسور الطوال أو الكثيرة الآيات !

ولعل القارئ المفضال لتفسير السورة الجليلة قد وقف على نواحي عدة يفيد منها في كل الفنون والعلوم، ولا ريب فالقرآن الكريم هو أصل لغتنا، وأساس ديننا، وعماد كلامنا... معينه لا ينضب، وعطاؤه لا حد له، ولله در القائل:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وأخيراً: الله – تعالى– أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وابتغاء مرضاته، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يهب له القبول والسداد، والتوفيق والرشاد، وأن ينفع به قارئه وكاتبه، وأن يشرح صدورنا، وييسر أمورنا، ويغفر ذنوبنا، ويستر

---

[1] الكهف / ١٠٩ .
[2] لقمان / ٢٧ .

عوراتنا، وأن يصلح أحوالنا، وأن يلم شعثنا، وأن ييسر عسرنا، وأن يفرج كربنا، وأن يهدينا سبيله القويم، وصراطه المستقيم... إنه سميع قريب، كريم مجيب.

وصلى الله – تعالى – وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس أهم المراجع

القرآن الكريم.

أولا: كتب التفسير وعلوم القرآن والقراءات:

– إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا = شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي ت ١١١٧هـ، وضع حواشيه الشيخ / أنس مهرة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

– الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي = جلال الدين عبد الرحمن ت٩١١ هـ، ط مصطفى البابي الحلبي، الرابعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام أبي السعود = محمد بن محمد بن مصطفى العمادى ت٩٨٢هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

– أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي = عبد الله بن عمر بن محمد ت٦٩١هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م

– البحر المحيط لأبي حيان = محمد بن يوسف ت٧٤٥هـ، تح / مجموعة من العلماء، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

– بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي = مجد الدين محمد بن يعقوب ت٨١٧هـ، تحقيق / أ: محمد على النجار وآخرين، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الثالثة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

– التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة / عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ط دار المعارف.

– تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ / محمد الطاهر ابن عاشور، نشر دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٧م.

– تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي بهامش الفتوحات الإلهية، ط دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

– تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير = إسماعيل بن كثير ت٧٧٤هـ مكتبة دار التراث، القاهرة.

– التفسير القرآني للقرآن للشيخ / عبد الكريم الخطيب، ط دار الفكر العربي.

– التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام الرازي = فخر الدين محمد بن عمر ت٦٠٦هـ، نشر دار الغد العربي، الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

– جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري = أبى جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

– الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي = أبى عبد الله محمد بن أحمد ت٦٧١هـ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

– حاشية الشهاب على البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للشهاب الخفاجي = أحمد بن محمد ابن عمر ت ١٠٦٩هـ، ضبط الشيخ / عبد الرزاق المهدي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

– الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام السيوطي = جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

– زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ، تخريج / أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسى = شهاب الدين محمود ت١٢٧٠هـ، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

– غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة النيسابوري = نظام الدين الحسن بن محمد ت ٧٢٨هـ بهامش جامع البيان للطبري، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

– فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكانى = محمد بن على بن محمد ت١٢٥٠هـ، ط عالم الكتب.

– الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للإمام الجمل = سليمان بن عمر ت ١٢٠٤هـ، ط دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

– في ظلال القرآن للشهيد / سيد قطب، ط دار الشروق، الطبعة الشرعية، الثانية والعشرون ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشرى = محمود بن عمر ت ٥٢٨هـ، تصحيح / مصطفى حسين أحمد، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية = عبد الحق بن غالب ت٥٤١هـ، تح / عبد السلام عبد الشافي محمد، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

– النشر في القراءات العشر لابن الجزري = أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ت ٨٣٣هـ، تقديم أ / علي محمد الضباع، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعى = برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر ت٨٨٥هـ، تح / عبد الرزاق المهدي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٥ هـ — ١٩٩٥م.

– النكت والعيون تفسير الماوردي = أبى الحسن على بن محمد بن حبيب، ت ٤٥٠هـ، تح الشيخ / خضر بن خضر، ط دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت ١٩٩٢م.

ثانيا: كتب الحديث وشروحه:

– صحيح مسلم بشرح النووي للإمام مسلم بن الحجاج ت٢٦١هـ، ط مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر = أحمد بن على بن حجر ت٨٢٥هـ، تح / محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، قصي محب الدين الخطيب ط دار الريان للتراث، المكتبة السلفية، الثالثة ١٤٠٧هـ.

– كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى = إسماعيل بن محمد ت١١٦٢هـ، ط مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.

– المعجم الأوسط للإمام الطبراني = أبى القاسم سليمان بن أحمد ت٣٦٠هـ، تح / أيمن صالح شعبان، سيد أحمد إسماعيل، ط دار الحديث، القاهرة، الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

– المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لجماعة من المستشرقين، نشر د / أ. ى. ونسنك، ط مكتبة بريل، ليدن ١٩٣٦م.

ثالثا: كتب اللغة والمعاجم:

– القاموس المحيط للفيروزابادي = مجد الدين محمد بن يعقوب ت٨١٧هـ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

– المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية، نشر مكتبة الصحوة، المنوفية.

– المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني= أبى القاسم حسين بن محمد ت٥٠٢هـ، تح / محمد سيد كيلاني، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان.

فهرس موضوعات البحث

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
إهداء	٣٢٧
مقدمة	٣٢٨
بين يدي السورة الكريمة	٣٣١
زمان ومكان السورة	٣٣١
أسماؤها	٣٣٣
عدد آيها وكلماتها وحروفها	٣٣٣
ما ورد في فضلها	٣٣٤
سبب نزولها	٣٣٤
سماتها وخصائصها	٣٣٥
مناسبتها لما قبلها	٣٣٦
مقاصدها وأغراضها	٣٣٨
تفسير السورة الكريمة	٣٤٠
قوله – تعالى–: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	٣٤٠
قوله – تعالى–:﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾	٣٤٨
قوله – تعالى–: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾	٣٥١
قوله – تعالى–:﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾	٣٥٣

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
قوله – تعالى–: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾	٣٥٩
قوله – تعالى–: ﴿ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾	٣٦٣
الخاتمة	٣٦٤
فهرس أهم المراجع	٣٦٦
فهرس موضوعات البحث	٣٧٠